كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ

في حفل افتتاح المدرّج ليلى تركي

في ٢٦ نيسان ٢٠١٣

نعيش اليوم بتأثّر بالغ حفل الافتتاح هذا "البسيط" للاسم الذي أُطلق على قاعة مدرَج المكتبة الشرقيّة، هذا المدرّج الذي طالما اعتُبر مدرّج معهد الآداب الشرقيّة والذي انتسب إليه نوابغ الدراسات والأبحاث الشرقيّة، الآباء اليسوعيّون Mouterde موتيرد في علم النبات و بويغ Bouyges في الفلسفة، ولامنس Lammens وألار Allard و نويا Nuwyia في الدراسات الإسلاميّة والتصوّف الإسلاميّ، و بوزيه Pouzet في التاريخ العربيّ و فليشFLEISCH في قواعد اللغة العربيّة وأنا قادر على المضي قدمًا في ذكر أسماء أخرى. أبرز المدرّسين العلمانيّين كآل البستاني، وعبد النور، والخازن، وأسماء أخرى تُكمل هذه السلسلة من الأسماء المرموقة بين اليسوعيّين. على أي حال، هذه القاعة هي واحدة من أبرز الأماكن التي تحتلّ ذاكرة جامعة القدّيس يوسف وهي مرجع إلزاميّ في تاريخ التربية والتعليم والفكر اللبناني لمدّة مائة عام.

عزيزي السيّد سامي،

اسمح لي أن أتكلّم أوّلاً عنك، يا عزيزي سامي، وبعدها على الفور عن الشخص الذي تهديه هذا المدرّج، أمّك العزيزة الراحلة.

أنا لا أتطرّق كثيرًا إلى الحديث عنك فأنا ببساطة أوجّه الشكر لك من أعماق قلبي للتفكير بنا قبل هذا الإهداء حيث أنّك كنت قد أردتَ مؤسّسة تحمل اسم سامي تركي للمنح الجامعيّة الأكاديميّة في جامعة القدّيس يوسف. هناك بعض الطلاّب الذين يشكرونك من خلالي فبفضل هذه المحفوظات تتّسع المعرفة لتطال شباب غير قادرين على إعالة أنفسهم وتمويل دراستهم. اليوم أردت تعزيز الشراكة سامي تركي – جامعة القدّيس يوسف رغبةً في إعطاء اسم والدتك لهذا المدرّج، وهذه المرّة لمساعدة المدرّج نفسه والمكتبة

ومعلرض الصور ومشاريع التنمية في الجامعة. كلّ هذا ليس من المستغرب : أعطتك والدتك اسم سامي وهو مشتق ّ من الجذر الثلاثي في اللغة العربيّة "سمو" ومرادفه "النبيل". إنّ نبلك يؤثّر فينا حين تفكّر بوالدتك وبنا. تلك الثمار من تلك الشجرة. لم تكن أمّك لتجد أفضل من هذا الاسم.

أمّا والدتك المرحومة ليلى فلا أستطيع أن أمدح بسحرها وجمالها الخارجي لأنّني لم أعرفها. لكن كما تقول في الكتيّب الذي وُضع لهذه المناسبة، لا يسعني إلاّ أن أصدّق هذا خصوصًا أنّه تمّ انتخابها ملكة جمال لبنان في العام ١٩٢٩. حين تعرّفت عليك، وبعد لقائنا مرّتين، تيقّنتُ أنّ جمالها الخارجي لم يكن إلاّ انعكاسًا لجمالها الداخلي الذي أسفر، كما تقول، في أنّها وهبت جزءًا من ثروتها ونشاطاتها للعمل الاجتماعي للمحتاجين والفقراء. بواسطة سحرها قامت بأعمال تتخطّى الفرديّة، ففكّرت بالآخرين من المحتاجين والمعوزين وبهذا، أنا اليسوعيّ، لا يسعني إلاّ أن أمدح بها وأنا متأكّد من أنّ البابا فرنسيس سيكون سعيدًا بأن يكون هناك الكثير من ملكات الجمال الكاثوليكيّات في العالم تعملن من أجل الفقراء والمهمّشين الذين يكنّ لهم العاطفة. فعلى وجوههم يرتسم وجه يسوع المسيح.

إنّها والدتك، والدة سامي ونديم، الأمّ التي تمتّعت بجمال مزدوج بما أنّها كرّسته من أجل قضيّة العدالة الاجتماعيّة. ولكن، اليوم، هذه الأمّ هي في مكان ما والدتنا، والدتي ووالدة الكثيرين، الأحياء منهم والأموات : من خلال لفتتك التي تحيي ذاكرة أمّك، جميع الأمّهات ومشاعر الأمومة يُكرَّمن اليوم. وإن كان للأب دور أساسيّ في حياة الأسرة، فالأمّ، ونحن لا نتوقّف عن قول هذا، هي التي تحمل مستقبل العالم. في عالم مضطرب بتشريعات تجعل من الأمومة والأبوّة أيّ شيء للاستجابة إلى عدم صواب الرجال والنساء، كيف لا نُثني على القانون الطبيعي، المكرّس بالتشريع الإلهي، والذي يجعل من الأمّ نموذجًا نهائيًّا من الوداعة والمحبّة والإحسان وضرورة تعليم وتنشئة أجيال المستقبل.

ولكن، من خلال هذا اليوم، نحتفل بأمّ أخرى، وهي الثالثة العزيزة علينا جميعًا. هل تعرفون أنّنا نسمّي جامعة مثل جامعتنا، جامعة القادّيس يوسف، أمّنا المربّية ؟ إنّها صيغة لاتينيّة، Alma Mater، الأمّ المربّية، التي تصف أهميّة المؤسّسة التعليميّة، فمثل الطفل الذي ينمو بيولوجيًّا وحتّى روحيًّا في رحم أمّه ومن ثمّ عائلته، من البديهيّ أنّ هذا الطفل نفسه يجب أن يتمّ تشكيله وتكوينه باعتباره شخصيّة مثقّفة ومنفتحة تعرف واجباتها وحقوقها، وتنمو في العلوم الأكثر تنوّعًا، بما في ذلك العلوم الدينيّة والمدنيّة. إنّ

صورة وذاكرة أمّك ليلى تعطياننا الدرس التالي : كم ينبغي أن نكون في حالة حب مع أمّنا المربّية، جامعتنا، جامعة القدّيس يوسف، لأنّ الجامعة والمؤسّسة المدرسيّة والتربويّة، لتلك التي تستحقّ هلذا اللقب، تلعب في بلادنا دورًا لا مثيل له حيث أنّها تشكّل وتلد أثمن ما نملك : الموارد البشرية المتعلّمة والمثقّفة التي تهب بلادنا البهجة ووضوح الرؤية. لا تُقاس عظمة بلد من حيث مساحته ولكن بعظمة تقاليده وثقافته وموارده البشريّة المتعلّمة والمثقّفة. أن نعرب عن امتناننا لأمّك، من خلالك، سيّد تركي، لهو واجب محتّم علينا.

باسم جامعتنا، أشكرك كما أشكر السيّدة كارمل واكيم لخدماتها فهي جعلتني ألتقي بك وأتعرّف على شخص لا يسعى للمظاهر ولكن، باسم الودّ والصداقة والذكرى وباسم الذاكرة والتضامن، أراد ويريد أن يساعد جامعته الأمّ بصداقة وولاء. لا يسعني إلاّ أن أضيف شكرًا لكلّ من ساهم بشكل مباشر أو غير مباشر لكي يكون هذا اللقاء متميّزًا جدًّا وخاصًّا جدًّا. عزيزي السّيد سامي، لفتتك عزيزة على قلبنا. فلتستمرّ شراكتنا من أجل القضيّة الوجيهة لا بل القضايا الوجيهة !

شكرًا

سليم دكّاش اليسوعيّ. كلمة ألقاها في حفل افتتاح المدرّج ليلى تركي يوم الجمعة الواقع فيه ٢٦ نيسان (أبريل) ٢٠١٣ في الساعة السادسة مساءً.